كلاسيكيات مُبسطة

شيرلوك هولمز

مغامرة المنزل الفارغ



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
شيرلوك هولمز
مغامرة المنزل الفارغ
السير آرثر كونان دويل
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

شيرلوك هولمز

كلاسيكيات مبسطة للأطفال

كائنات، ورموز وقضايا مثيرة



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى 2024

شيرلوك هولمز

مغامرة المنزل الفارغ



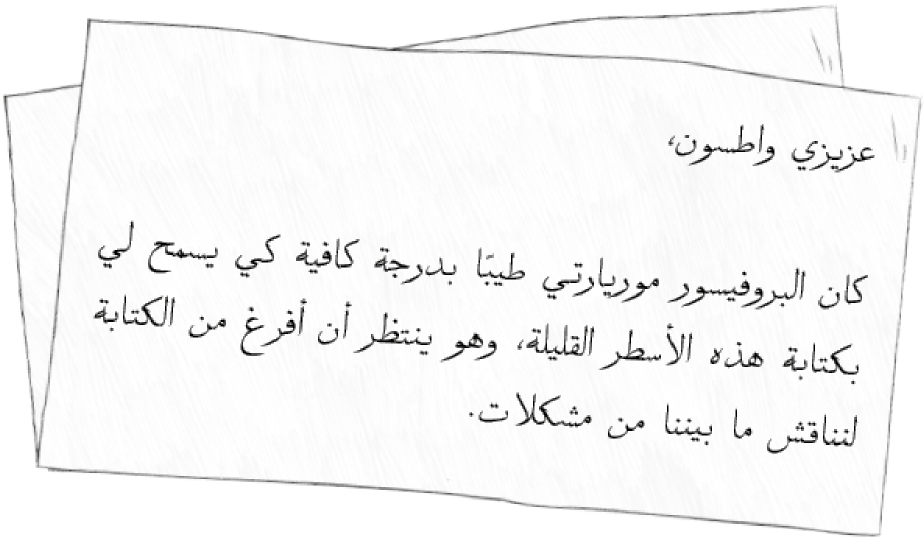
السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
not just a Bookstore... ليست مجرد مكتبة...

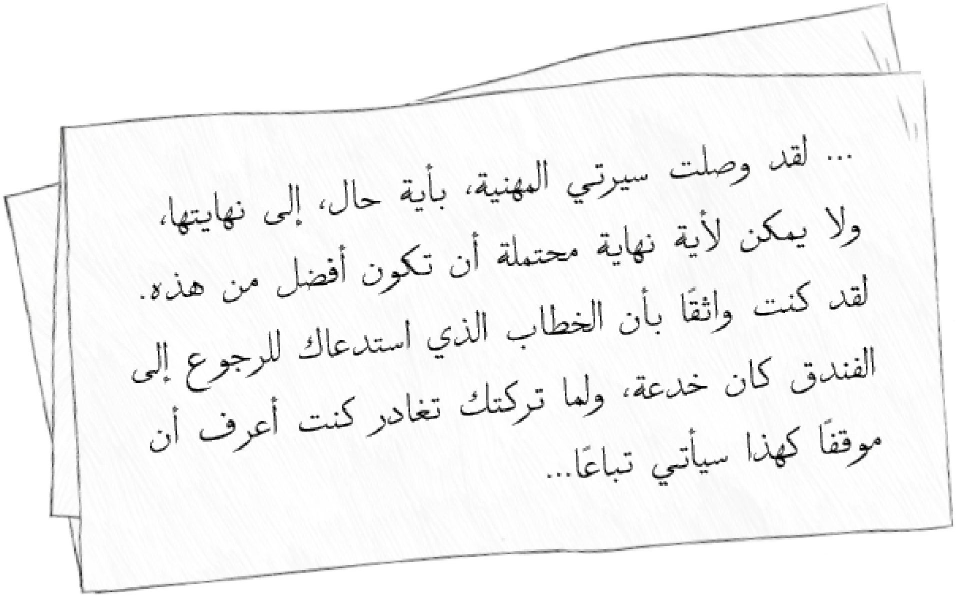
الفصل الأول

ثلاث سنوات قد مرت منذ أن اختفى صديقي، شيرلوك هولمز، فـــوق شـــلالات ريـــتـــشينباخ في سويسرا مع عدوه، موريارتي.

سيظل ذلك اليوم المؤسف في ذاكرتي إلى الأبد، حينما خُدعت كي أعود إلى الفندق، تاركًا هولمز وحده في خطر، وقبل أن أعود إلى الشلالات، كان الشجار القاتل قد انتهى، وكل ما كان موجودًا هو الأغراض القليلة التي قصد هولمز أن أجدها: عصاه، وعلبة سجائره، ورسالة، حُفرت كلماتها في ذهني.


عزيزي واطسون،

كان البروفيسور موريارتي طيبًا بدرجة كافية كي يسمح لي بكتابة هذه الأسطر القليلة، وهو ينتظر أن أفرغ من الكتابة لنناقش ما بيننا من مشكلات.


... لقد وصلت سيرتي المهنية، بأية حال، إلى نهايتها،
ولا يمكن لأية نهاية محتملة أن تكون أفضل من هذه.
لقد كنت واثقًا بأن الخطاب الذي استدعاك للرجوع إلى
الفندق كان خدعة، ولما تركتك تغادر كنت أعرف أن
موقفًا كهذا سيأتي تباعًا...

ما زلت أفتقده كثيرًا، وليس هناك مكان واحد في لندن لا يذكرني به.

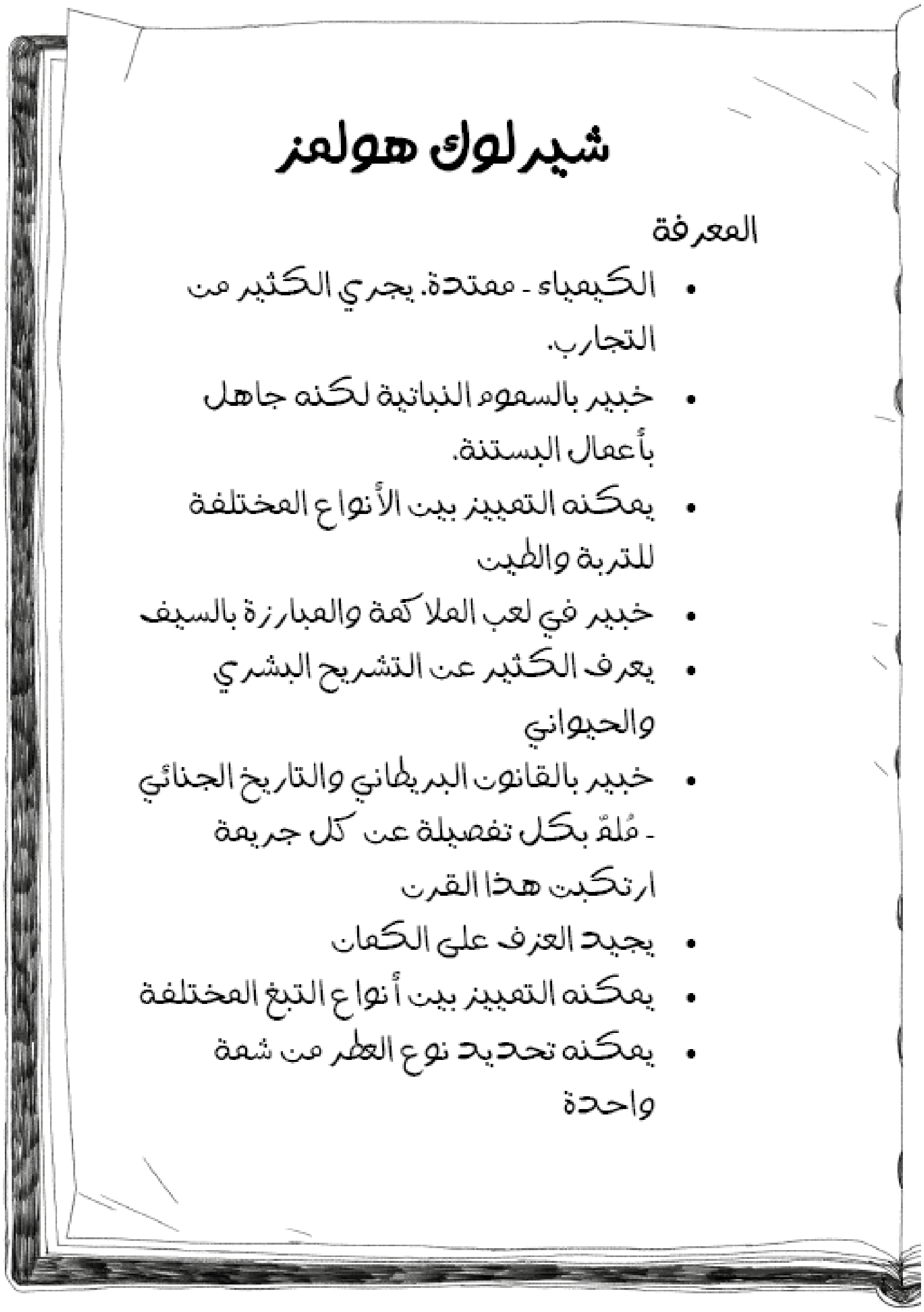
تخيلت ذات مرة أنني رأيته، فقد كنت أسير إلى المنزل عائدًا من زيارة مريض، ولما انعطفت على شارع ريجنت ستريت رأيت على الجدار ظلًّا منعكسًا لرجل طويل نحيف ذي وجه أشبه بالصقر، وكنت متأكدًا من أنه هولمز، لكن لمَّا تحرك الرجل في النور، عرفت، بالتأكيد، أنه لم يكن هو. عندها شعرت بالحماقة، وبأن عليَّ مواجهة الحقيقة.



لقــد رحـــل صــديقي، شــيرلوك هولمز، إلى الأبد.

الفصل الثاني

كنت لا أزال مهتمًّا بتحريات الشرطة، فمررت بقضايا كنت أعرف أن هولمز كان سيحب حلها، وأحيانًا كنت أفكر في قائمة مواهبه، التي كنت قد أعددتها في بداية معرفتي به، فحاولت تقليد تلك المهارات لحل القضايا، لكنني لم أكن أبدًا ببراعته في ذلك.



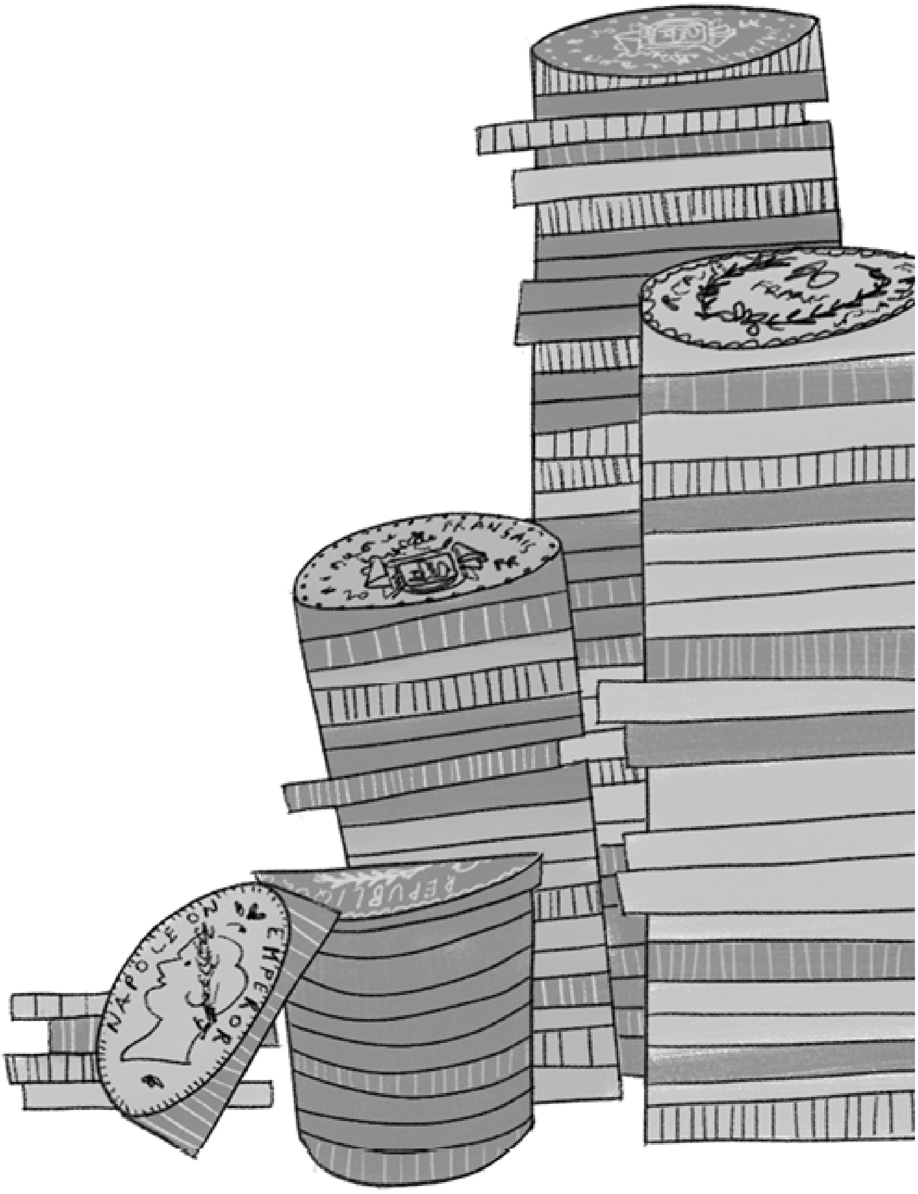
على الرغم من ذلك، كنت أحـاول، فأزداد ملاحظة أكثر وأكثر، حتى أنني أصبحت قادرًا على التمييز بين بعض أنواع التبغ، وفكرت في أن المعرفة بالأنواع النادرة من السموم ستكون مفيدة أيضًا، خاصة في ظل معرفتي بالقليل عنها، كوني طبيبًا. فكنت أذاكر في هذا الموضوع يوميًا، كما عاودت قراءة الكثير من تقارير القضايا القديمة لهولمز - وأخيرًا بدأت أفهم كيف كان يحلها.

ثم أتى لغز مقتل السيد رونالد أدير في مارس 1894، تلك الوفاة التي صعقت لندن بأكملها، فقد كان محبوبًا بشدة ولم يبدُ أن له أي أعداء في العالم.

بحسب التقارير، عاد السيد أدير ليلة وفاته إلى منزله في العاشرة؛ حيث كانت أمه وأخته خارج المنزل، وكانت الخادمة قد أشعلت المدفأة في غرفة الجلوس، ومن ثم كان هناك الكثير من الدخان، لذلك فتحت إحدى النوافذ، وقد سمعته عندما وصل المنزل ودخل غرفته.

لاحقًا، في الحادية عشرة وثلاثين دقيقة تقريبًا وصلت أمه وأخته المنزل، فذهبتا إلى السيد أدير لتتمنيا له نومًا هنيئًا، لكن الباب كان موصدًا من الداخل، وقد شعرتا بالقلق عندما لم يجِبهما حتى إنهما طلبتا من جارهم أن يكسر الباب.

كان السيد أدير المسكين ملقى على الأرض، ميتًا. ثمة من أطلق عليه النار، لكن لم يكن هناك أثر لسلاح ناري. وقد كانت هناك نقود على الطاولة - سبعة وثلاثون جنيهًا - وكانت مرتبة في كومة صغيرة كأنه كان يعدها، وبجانبها ورقة تحمل أسماء.



كانت لدى كل فرد وجهة نظره الخاصة بشأن ما حدث، لكـــن معظمهـــا كان غير منطقي؛ إذ لم يستطِع أحد الإجابة عن السؤال الأهم: كيف تمكن القاتل من الدخول والخروج؟ فقد كانت النافذة على ارتفاع ستة أمتار من الأرض، ولم تكن هناك أنابيب صرف ليتسلقها، كما كان الغطاء النباتي أسفله سليمًا لم يدعسه أحد.

ولماذا كان الباب موصدًا من الداخل؟ هل كان القاتل مختبئًا في الغرفة عندما اكتشفت أم السيد أدير وأخته الجريمة ثم هرب لاحقًا؟ وإن فعل، فهذا لا يجيب عن سؤال كيف دخل أصلًا.

وكيف لم يرَه أحد؟ فشارع بارك لين شارع مزدحم، حتى خلال الساعات المتأخرة من الليل، فبالتأكيد كان سيراه أحدهم في أثناء هروبه.

كان ذلك لغزًا بكل تأكيد، لغزًا عزمت على حله.

في الصباح التالي للجريمة، قرأت كل المقالات الصحفية التي كُتبت عنها:

العثور على الشريف رونالد أدير، ابن إيرل مدينة مواينوث، مقتولًا ليلة أمس، وقد اكتشفت أمه وأخته الجريمة.

كان البـاب موصدًا من الداخل بينما تُركت النافذة مفتوحة، فماذا كان الدافع؟ لقد كانت هناك أموال على الطاولة، فهو ليس حادث سـرقة إذن.

لقد مات هذا الشـاب الأرستقراطي بأحد أغرب أشكال الموت.

الضحية هو الخطيب السابق للآنسة إديث وودلي، من مدينة كارستيرز، ويُعتقد أن قرار الانفصال جاء باتفاق الطرفين، وأنهما ظلا صديقين.

مقتل الشـريف رونالد أدير بعيار ناري في منزله بشارع بارك لين



لم تستطع أي من المقالات أن تقدم تفسيرًا منطقيًا.

ظللت طوال اليوم أثناء جولاتي أتفقد الحقائق، باحثًا عن مفاتيح جديدة لم يتوصل لها الآخرون بعد، لكن ببساطة لم تكن لديَّ أية فكرة كيف ارتكب القاتل جريمته، ناهيك عن معرفة ذلك القاتل.

تمنيت لو أن هولمز كان موجودًا، كم كان سيحب هذا اللغز! عندها أدركت أكثر من أي وقت آخر كم خسر الرأي العام بوفاته.

الفصل الثالث

بعد زيارة المريض الأخير في ذلك اليوم، تصادف مروري بالقرب من متنزه هايد بارك ومسرح الجريمة، فعبرت المتنزه، بينما كان تركيزي بالكامل منصبًّا على وجهتي حتى إنني نسيت تقريبًا أن أبدي إعجابي بأزهار التيوليب التي أزهرت حديثًا. وسرعان ما وصلتُ نهاية شارع بارك لين؛ حيث كانت مجموعة من الأشخاص تقف على الرصيف ناظرين لنافذة المنزل بالأعلى، فخمنت أنها الغرفة التي توفي بها السيد أدير.



كان هناك اشتباك بسيط مع تحرك مجموعة الأشخاص للاستماع إلى رجل طويل نحيف - اعتقدت أنه محقق بملابس مدنية - يدلي بتفسيره لما حدث، لكن بدت أفكاره ساذجة، فقد قال إن القاتل يمكن أن يكون لاعب أكروبات من السيرك، تسلق الجدار لدخول المنزل والخروج منه.

ثم صاح في الناس، قائلًا: «أو ربما كان متسلق صخور»، فانطلقت الهمسات بين الحشد كسرب من الذباب.

فقال: «هل كان أدير جاسوسًا أو عضوًا في عصابة من طراز رفيع فتم اغتياله؟»، فزادت الهمسات، وزاد الطـنيـن، فأضــاف: «أو ربما اخترع أحدهم مسدسًا صامتًا يستطيع إطلاق النار دون أن يراه أو يسمعه أحد».

رجعت إلى الوراء في إحباط، وكم افتقدت صديقي في هذه اللحظة. أثق بأنه كان سيحل اللغز أسرع من أي ضابط شرطة.

بينما كنت أرجع إلى الوراء، كدت أُسقط الرجل العجوز الذي كان يقف بجانبي، فأسقط كومة من الكتب الثقيلة التي كان يحملها، لتتبعثر على الرصيف. فانحنيت لمســاعدته فـــي لـملمتها، لأجـد أحدها بعنوان «أصل شجرة العبادة»، يا له من عنوان غير مألوف! فخمنت أنه يهوى جمع الكتب النادرة، وشعرت بالذنب أكثر عندما مسحت بعض التراب عن أحدها.

اعتذرت إلى الرجل، لكنه لوح بيده في غضب وعرج بعيدًا، متشبثًا بكتبه ضامًّا إياها إلى صدره.



عـــاودت الانتبـــاه إلـــى مسرح الجريمة، وقد كان أمام منزل السيد أدير جـــدار منخفض وسور بارتفاع أقـــل مـــن مترين، لذلك كان دخول حديقة المنزل سهلًا، لكن التسلق إلى النافذة بالأعلى أو النزول منها مرة أخرى دون حبل كان مستحيلًا بأي شكل من الأشكال، فحاولت التفكير مثل هولمز الذي كان سيقول: «ابدأ دومًا بالإجابة الأكثر وضوحًا أولًا»، لكن ذلك لم يجدِ نفعًا، إذ لم تكن هناك إجابة واضحة أصلًا.

انطلقت في طريقي إلى المنزل، وقد تملكتني الحيرة كما لم أشعر قط، فدخلت مكتبي، وكنت سأتعمق لتوي في واحد من دفاتر ملاحظات هولمز القديمة عندما دقت الخادمة بابي.

قالت الخـادمـة: «لديـك زائـر، سيـد واطســون»، فتفاجــأت عندما وجدته الرجل العجوز الذي أسقطت كتبه على الأرض.

كان وجهه الحاد يطل من وسط إطار من الشعر الأبيض، وكـان يـرتـدي بنطـالًا مجعدًا وكـان معطفه كبيرًا جدًّا، وكان لا يزال يحمل مجموعة من الكتب تحت ذراعه اليمنى.



قال العجوز بصوت أجش غريب: «لا بد أنك متفاجئ بزيارتي، فكرت فقط في الاعتذار عن تصرفي الفظ، أشكرك على لملمة كتبي».

فقلت: «لا بأس، فالمسألة بسيطة، ولم يكن هناك داعٍ أن تأتيني كل هذه المسافة فقط لتعتذر. لكن كيف عرفت مكان سكني؟».

تجاهل العجوز سؤالي، وقال: «معي زوج من الكتب سيملأ هذه الفجوة الموجودة على رف كتبك على أكمل وجه»، مشيرًا ورائي.

استدرت لأرى رف الكتب، ولمَّا اعتدلت ثانية كان السيد شيرلوك هولمز يقف أمامي، مبتسمًا.

دار رأســـي، وشــاهدت ضــبابًا رماديًا يلف أمام عيني، وفجأة اسود المشهد بالكامل.



الفصل الرابع

استفقت لأجد نفسي جالسًا في كرســي، بينمــا كان هولمز واقفًا فوقــي، يحــرك مســحوق النشادر تحت أنفي.

فقال بصوته المألوف: «آسف يا عزيزي واطسون أنني جعلتك تفقد الوعي. أعتذر منك كثيرًا، لم أكن أعرف أن هذا قد يحدث».

فجذبت ذراعه، وقلت: «هولمز! هل هذا أنت فعلًا؟»، واعتقدت أن خيالاتي صوَّرت لي ذلك، فقط كنت أفتقد أيامنًا معًا. فهل جُن جنوني؟

لكن الوجه الذي أراه أمامي لم يتغير شكله أو يختفي، لقد كان حقيقيًا، فأومأ لي بالإيجاب بابتسامة عريضة.

فهززت رأسي، وقلت: «أتخيل كثيرًا إنني أراك، لقد فعلتُ لتوي ذلك ليلة أمس... هل فقدتُ عقلي تمامًا؟».

فرد هولمز قائلًا: «إنك ذو خيال واسع دومًا يا واطسون، لكن هذه المرة يمكنك أن تصدق عينيك وأذنيك، هذا أنا فعلًا».

سند هولمز ظهره إلى الكرسي، وأخرج غليونه من جيبه وأشعله، وقد كان لا يزال يرتدي الملابس القديمة، لكــن كان الشعر الأبيــض والكــتب على الطاولة. وقد بدا أنحف مما كان عليه، وكان وجهه شاحبًا.



فسألته، قائلًا: «لكن كيف استطعت الخروج من تلك الهوة تحت الشلال؟ فأنت لست خارقًا».

فرد هولمز، قائلًا: «لا تشغل بالك بهذا يا واطسون، هل أنت بخير؟ لقد صعقتُك بشدة لتوي».

فقلت: «إنني بخير، لكني بالكاد أصدق عيني»، ثم جذبت ذراعه مرة أخرى وقلت: «إنك حقيقي. لست شبحًا. أرجوك أخبرني كيف هربت ونجوت من ذلك الشلال المميت».

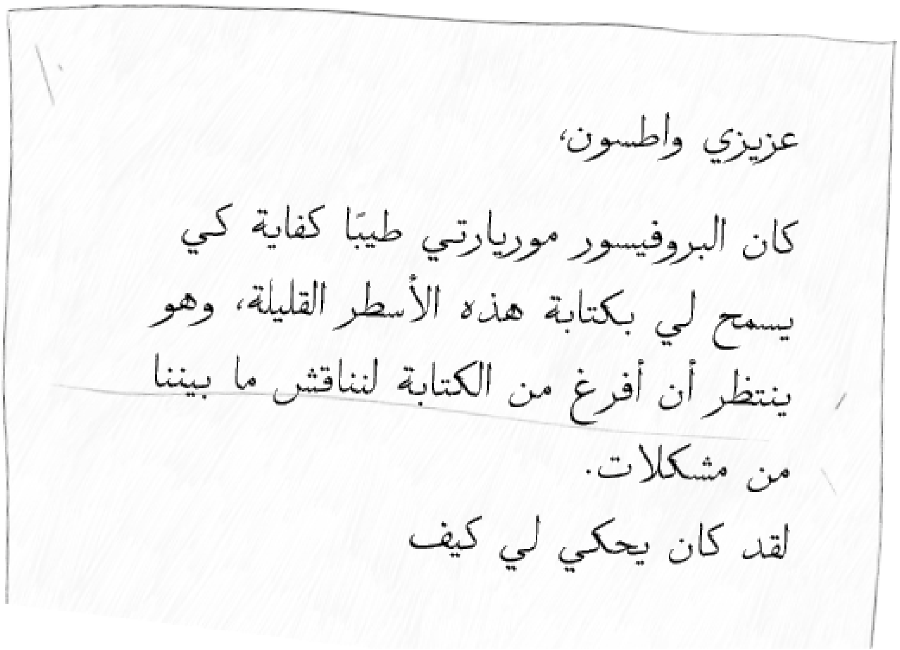
فقال هولمز: «ليس الآن يا زميلي العزيز، فلديَّ مهمة خطيرة لأؤديها الليلة وأحتاج إلى مساعدتك، كأيامنا السابقة. لكن علينا تناول العشاء قبل أن نذهب، وسوف أحكي لك كيف نجوت حينما ينتهي هذا كله».

فقلت: «يا إلهي! لا، أود أن أعرف ذلك الآن».

فنظر إليَّ هولمز بحاجب مرفوع، وقال: «حسنًا، إذا كنت مصرًّا... لم أجد صعوبة في الهروب منه؛ لأنني لم أكن بداخله من الأساس».

فقلت: «لـــم تكـــن بداخـــله من الأســاس؟».

فرد هولمز، قائلًا: «لا يا واطسون. لقــد شــاهدت موريارتي يعتــرض طريقي، وكانت في عينيه نظرة انتصار؛ إذ كان واثقًا بأنه يحاصرني، فطلبت منه أن أكتب لك رسالة فوافق.


عزيزي واطسون،

كان البروفيسور موريارتي طيبًا كفاية كي يسمح لي بكتابة هذه الأسطر القليلة، وهو ينتظر أن أفرغ من الكتابة لنناقش ما بيننا من مشكلات.

لقد كان يحكي لي كيف

وكما تعرف أنني تركتها علـى الصخــرة مــع علبة سجائري وعصــاي».

وتابع هولمز: «ثم انقض موريارتي علـيَّ، فقد كان يعـــرف أن هـــذه نهــايته كمجرم وأراد الثأر، فأراد أن يسقطني معه في تلك الهوة البغيضة ولو كان ذلك آخر شيء سيفعله في حياته، فتداعينا للسقوط على حافة الشلال، وكانت ذراعاه الطويلتان تحيطان بي».



وابتسم هولمز ولمعت عيناه في استمتاع.. تلك النظرة المألوفة لي، فبادلته الابتسام.

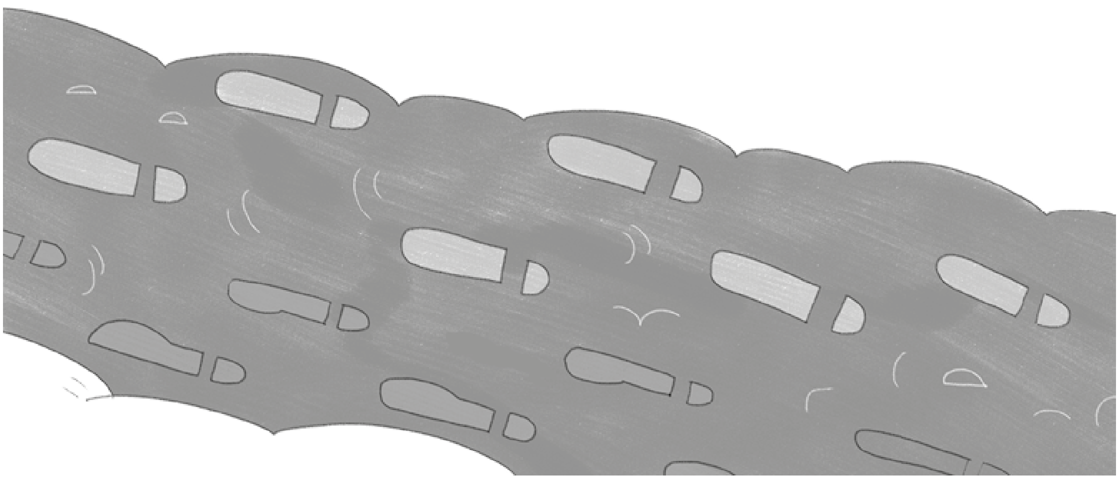
واستكمل هولمز حكايته: «ظننتها نهايتي أيضًا، فقد كانت الصخور تحت قدمي زلقة من أثر رذاذ الماء، وكانت المياه تحدث ضوضاء في أذني فكنت مستعدًّا للموت وأخذ ذلك الشرير معي».

«لكنني للحظة شعرت بالتفوق عليه، فقد أحسست باختلال توازنه، بينما كانت قدماي ثابتتين، فاستغللت معرفتي البسيطة بالبارتيتسو، فن القتال الياباني، وخلصت نفسي من قبضته، وصرت حرًّا. فذُهل موريارتي ونبش بيديه في الهواء، محاولًا باستماتة أن يمسك بأي شيء، لكنه لم يستطِع استعادة توازنه، وسقط مطلقًا صرخة تصم الآذان، بينما وقفت أشاهده طول فترة سقوطه قبل أن أسمع صوت ارتطامه بالماء على انخفاض سحيق».

كنت بالكاد أصدق هولمز.

فصحت قائلًا: «لكن ماذا عن الآثار؟! لقد كانت هناك مجموعتان من آثار الأقدام تسلكان المسار نزولًا بينما لا أثر لعودة أي منها».

فأومأ هولمز بالموافقة، قائلًا: «آه، صحيح. لقد فكرت في المشي بالمعكوس كي يبدو أن أحدًا لم يعُد، لكنـــي كنـــت أظنك ستكشف هذه الخدعة».



شعرت بالإطراء لاعتقاد هولمز بأن مهاراتي الاستنتاجية عالية الكفاءة.

ثم تابع: «كما ترى يا واطسون، وجدتها فرصة رائعة لجعل الناس يعتقدون أنني ميت، فتتصرف عصابة موريارتي بغير حرص، فأتعقبهم وأدمرهم في السر».

فقلت: «لكن لو أنك لم تسر في ذلك المسار عائدًا، كيف هربت؟ فلم يكن هناك سوى حائط مصمت خلفك».

فقال: «لم يكن الحائط مصمتًا تمامًا مثلما زعمت في التقرير الذي كتبته في الجريدة، بل كانت هناك بضعة مواطئ أقدام، لكن التسلق لم يكن سهلًا أبدًا، إذ يمكن لخطأ واحد أن يكون قاتلًا، وكثيرًا ما كانت حفنة العشب التي أتشبث بها تُنتزع في يدي أو تنزلق قدمي عن الصخرة المبتلة، لكني وصلت أخيرًا حافة ناتئة صغيرة، ورُحت أستريح معتقدًا أنني أصبحت بأمان».



وتابع هولمز: «ثم حدث شيء غير متوقع، سقطت صخرة ضخمة لكنها تخطتني، وراحت تنزلق على المنحدر، لتسقط أخيرًا في الماء بالأسفل. ظننتها حادثة إلى أن نظرت بالأعلى فوجدت رأس رجل مقابل السماء. لقد كان أحد رجال موريارتي، ولا بد أنه قد شاهد وفاة صديقه وهروبي، فكان يحاول الآن أن يفعل ما فشل موريارتي فيه».

واستطرد هولمز: «سرعان ما وقفت على أطراف أصابعي في ارتعاش، وسطحت جسمي مقابل أحد جوانب الجرف، وهكذا لم يكن هناك سبيل أبدًا لأن يلقي بصخرة قاتلة أخرى ناحيتي، وظللت واقفًا هناك، متشبثًا بالحجر بالبارد خلفي بيدي لمدة مرت كأنها دهر. وأخيرًا، استجمعت شجاعتي لألقي نظرة أخرى للأعلى، حيث كان الرجل يقف، لكنه كان قد غادر، فهربت مؤقتًا، لكنه يعرف أني ما زلت حيًّا، وكنت لا أزال في خطر».

«ظلت الخطة تلو الأخرى تدور في رأسي، إلى أن لفت نظري شيء بالأسفل. كان ذلك أنت يا واطسون، لقد شاهدتك تسير بطول المسار: عندما وجدت عصا المشي الخاصة بي ورسالتي وعرفت ما جرى، فرأيت ملامح الحزن على وجهك، وكدت أناديك».

فشعرت بغصة صغيرة في قلبي، وقلت: «كنت سأحفظ سرك».

فقال هولمز: «أعرف أنك كنت ستفعل ذلك، وكدت أكتب لك مرات عديدة، لكني كنت أعرف أنه سيصعب عليك الاستمرار في ادعاء موتي؛ لذلك كان الشخص الوحيد الذي أخبرته هو أخي مايكروفت، الذي كان يرسل لي المال لأعيش، فقد كان رجل موريارتي يعرف أنني ما زلت على قيد الحياة، لذلك كان عليَّ أن أختفي تمامًا».

فسألته، قائلًا: «وأين ذهبت؟».

فأجابني: «بمجرد أن استطعت النزول من فوق الجرف، ركضت لأبعد ما يمكنني. أظنني ابتعدت تلك الليلة لعشرة أميال فوق الجبال، ولحسن الحظ أن كان القمر مكتملًا لينير لي طريقي، وقد سقطت مرتين لكني واصلت السير، مع علمي بأن رجل موريارتي ربما يتتبعني. وأخيرًا بعد أن أصبحت ملابسي في حالة مزرية، وصار حذائي بالكاد معلقًا في قدميّ المنهكتين، اجتزت الحدود إلى إيطاليا وذهبت إلى فلورنسا».

ثم أضاف هولمز، قائلًا: «بعد التعافي في تلك المدينة الجميلة، مكثت سنتين في



ثم أضاف هولمز، قائلًا: «بعد التعافي في تلك المدينة الجميلة، مكثت سنتين في التبت؛ حيث قضيت بعض الوقت مع مجموعة من الروحانيين، لأنتقل بعد ذلك

إلى مكة والخرطوم قبل أن أعود إلى أوروبا. هل سمعت بمغامرات المستكشف النرويجي سيجرسون؟».

أومأت بالإيجاب في تحير، فقد أمضيت ليالي كثيرة جالسًا بجوار المدفأة أقرأ عــن رحــلات ذلك الرجل.

فابتسم هولمز، وقال: «لكنك لم تشك لحظة أن ذلك الرجل هو صديقك، أليس كذلك؟».

فضحكت، قائلًا: «أنت يا هولمز!».

فواصل هولمز حديثه، قائلًا: «سافرت بعد ذلك إلى فرنسا، وعملت في مجال التجارب العلمية بأحد المعامل، إلى أن سمعت بأن أحد رجال موريارتي المتبقين قد مات، وعرفت أن اثنين من رجال عصابته لم يتم الإمساك بهما مطلقًا، وبالتالي إذا كان الاثنان يتجولان في شوارع لندن، فإن هناك خطورة شديدة في عودتي، لكن الآن لم يتبقَّ منهما سوى واحد فقط، واستطعت التعامل معه. وقد كنت أفكر بالفعل في العودة عندما سمعت بلغز شارع بارك لين ومقتل السيد رونالد أدير، فاستفزتني القضية جدًّا، ولم أستطع منع نفسي من العودة إلى لندن، فأعددت حقائبي، واستقللت القطار التالي، وتوجهت مباشرة إلى غرفتي القديمة في شارع بيكر ستريت».

فقلت: «لكن السيدة هدسون...».

فضحك هولمز، وقال: «لم تفقد الوعي مثلك يا واطسون، لكنها أقفلت الباب بعنف في وجهي ظنًّا منها أني شبح، فاستغرق الأمر القليل من محاولات إقناعها لتفتحه مرة أخرى، ثــم حيتنــي بحــرارة، وصارت تتصرف بشكل هستيري تمامًا، فلم تكن السيدة هدسون الهادئة التي نعهدها أبدًا».



فقلت: «إنها تحبك كثيرًا يا هولمز، لم أرَها إلا مرة أو اثنتين فقط منذ أن اختفيت، لقد حزنت عليك وقتًا طويلًا».

فرد هولمز، قائلًا: «نعم، لقد كانت عطوفًا بدرجة مبالغ فيها، لكن يمكنني القول إنها كانت تتعلم من الشخص الأكثر عاطفية - المحقق الأفضل»، وابتسم لي ابتسامة ماكرة، منتظرًا مني ردة فعل، لكني قاومت ذلك.

فقال هولمز: «حسنًا، ثمة مهمة لنؤديها الليلة يا واطسون، ويمكننا بعدها الحديث عن ما جرى في السنوات الثلاث الأخيرة».

نظرت إلى وجهه المتحمس، لكنه تحول فجأة من الحماسة إلى الحزن، ثم وضع يده على ذراعي، وقال: «سمعت بوفاة زوجتك يا عزيزي واطسون، لا يمكنني أن أتخيل مدى حزنك لفقدانها بعد فترة قصيرة من زواجكما».

رأيت عينيه وقد اغرورقتا بالدموع، ليستيقظ بداخلي الحزن الفظيع الذي كنت أشعر به قبل عام عندما توفيت حبيبتي ماري، فلقد فقدت صديقي أولًا ثم فقدت زوجتي الحبيبة، ولم أستطِع أن أفعل شيئًا لكليهما، ربما يكتشفون علاجًا للسل يومًا ما، لكن سيكون قد فات الأوان.



فأعادني هولمز من شرودي، وقال: «إن العمل هو الترياق الأفضل للتغلب على الحزن، وثمة مهمة صغيرة هي الأهم لكلينا الليلة».

الفصل الخامس

في تمام التاسعة من تلك الليلة استقللنا عربة هانسوم، حيث كان صديقي يجلس بجانبي، وكنت أشعر في صدري بروح المغامرة، أما هولمز فكان باردًا، وجامد الملامح، وصامتًا، وعندما مررنا بعمود نور في الشارع رأيته وقد عقد حاجبيه متعمقًا في التفكير، فأي وحش ضـارٍ كــنا سـنصـطـاد في الغابة المظلمة للندن الإجرامية؟

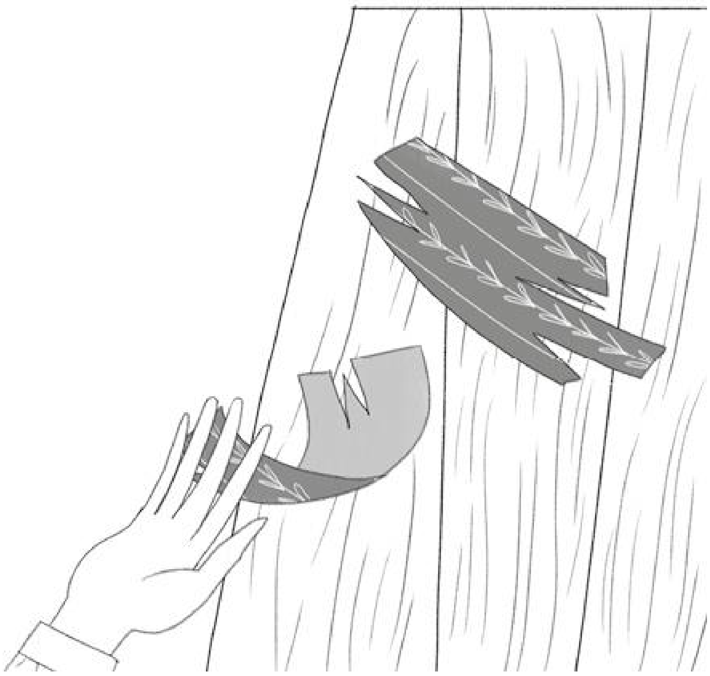
أوقف هولمز العربة على ناصية ميدان كافنديش سكوير، فنزلنا منها وراح ينظر حوله ليتأكد من أنه لا أحد يتتبعه، ثم اقتادني في متاهة من الأزقة لم أعرف بوجودها أبدًا، حتى وصلنا حارة ضيقة من المنازل المظلمة، ثم خرجنا من الحارة الضيقة من بوابة خشبية بغرض التخفي، ومنها إلى حديقة مهجورة.



مد هولمز يده في جيبه بحثًا عن مفتاح، وفتح الباب الخلفي لأحد المنازل، فدخلنا معًا.

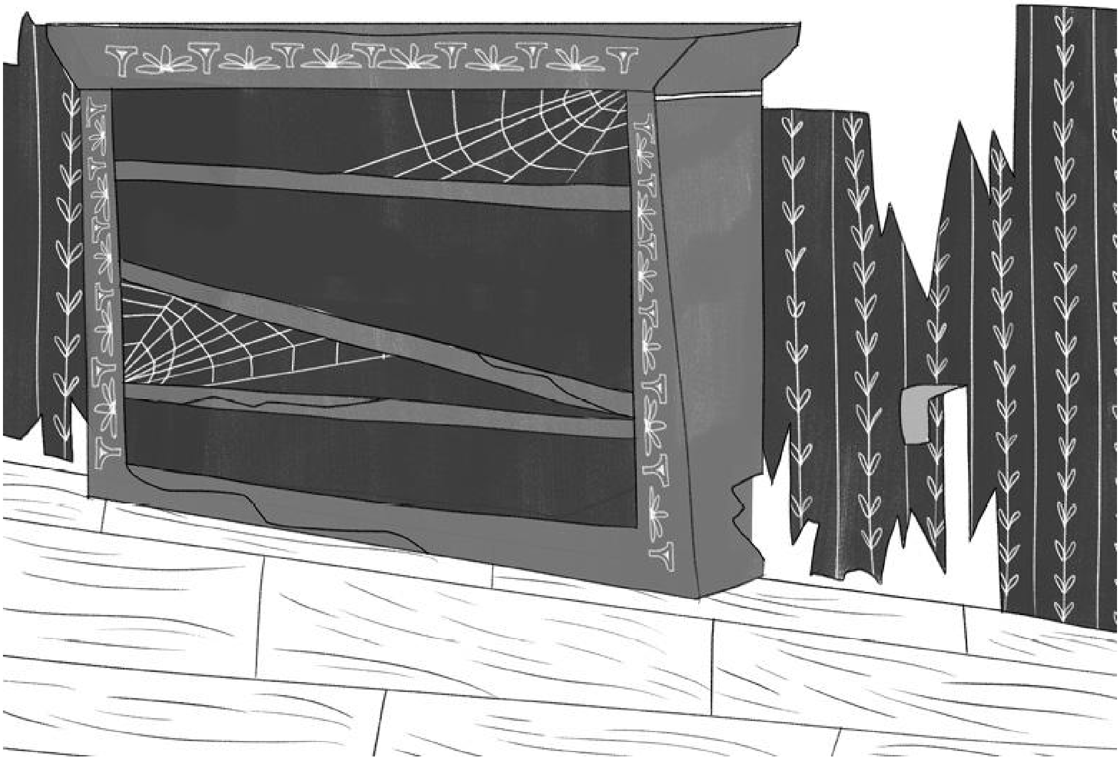


كان الظلام حالكًا، وكان المنزل فارغًا تمامًا بوضوح، وكانت أقدامنا تُحْدِث صريرًا لدى سيرنا على الأرضية الخشبية، وبينما كنت أتحسس طريقي بمحازاة الحائط، كانت قطع من ورق الحائط البالية تتقشر في يدي،



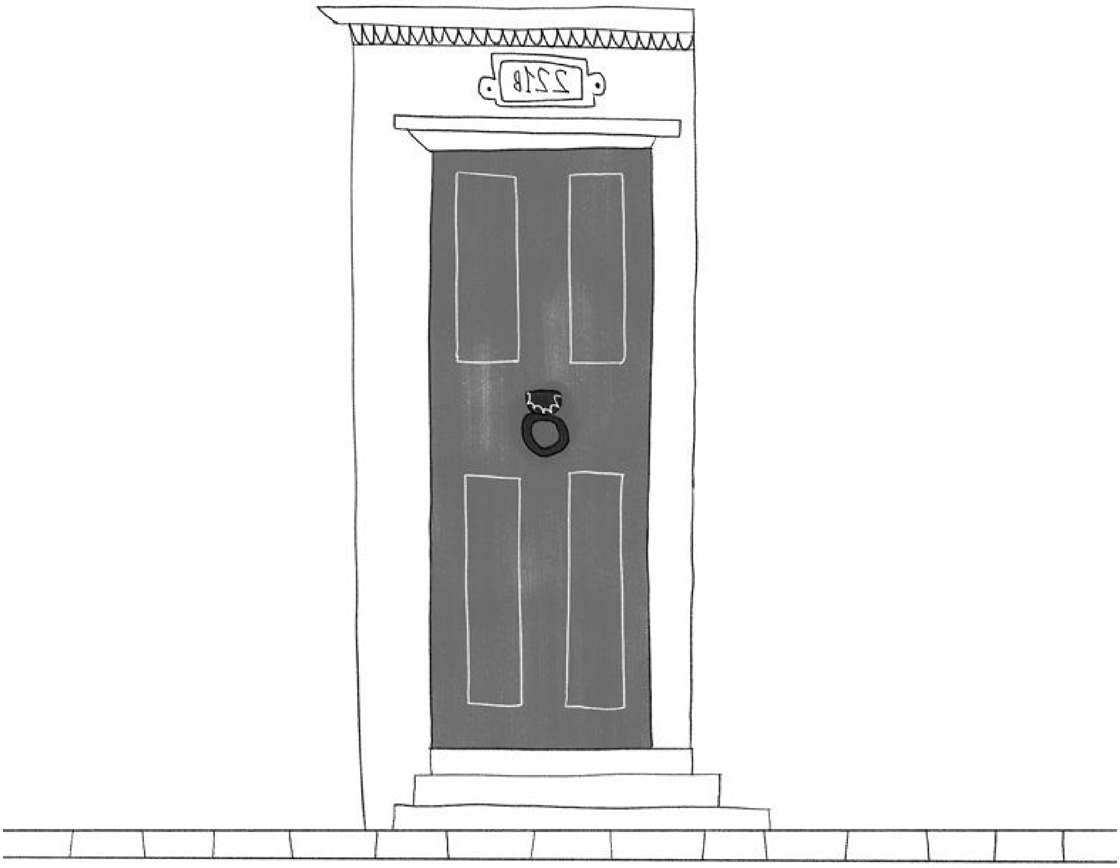
فأمسكني هولمــز مــن معصمي بأصــابعه البـــــاردة، واقتادني عبر صالة طويلة، ومنها إلى غرفة مربعة كبيرة مغلقًا الباب وراءنا، حيث تسللت إلينا إضاءة معتمة

عبر النافذة من مصابيح الجاز الموجودة في الشارع، فرأيت مكتبة خشبية قديمة موضوعة أمام أحد الحوائط.



كنت بالكاد أستطيع أن أرى هيئة هولمز، فوضع يده على كتفي وهمس في أذني، قائلًا:

«أتعرف أين نحن؟».



22 ب

فرمقت الشارع بنظرة عبر النافذة، وقلت: «بالطبع، ذلك شارع بيكر ستريت؟».

فرد هولمز، قائلًا: «صحيح، إننا في منزل كامدن، مقابل شقتنا تمامًا».

فسألته: «لكن لماذا نحن هنا؟».

فقال: «لأنه يمكننا من هنا الحصول على منظر رائع للمنزل رقم 221 ب. اقترب من النافذة يا واطسون من فضلك، لكن تأكد أنه لا أحد يراك، وألقِ نظرة على غرفنا القديمة بالأعلى».

تحركت بخفة إلى الأمام، ونظرت عبر تلك النافذة المألوفة، فشهقت. لقد كانت الستارة المعدنية منخفضة، وكان هناك ضوء قوي في النافذة، فرأيت بكل وضوح ظل رجل خلف الستارة المعدنية.



كانـت وضعيـة الـرأس وهيئـة الكتفين مألوفتين جدًّا، لقد كانت نسخة طبق الأصل من هولمز! فمددت رأسي لأتأكد من أن هولمز نفسه موجود بجانبي فعلًا، لأجده يهتز من أثر الضحك في صمت.

قال هولمز: «ماذا؟».

فصحت قائلًا: «يا إلهي! هذا مذهل!».

مجسمات الشمع

تُصنع مجســمات الشمع من الشمع الصلب، لتمثل المشاهير، للتذكير بأولئك الذين رحلوا، أو ليســتعين بها أولئك الماكرون بدرجة كافية كحيلة. ولو كان مجســم الشمع من صنع نحات موهوب، يمكن للمجسم خداع الآخرين وجعلهم يعتقدون أنك في مكان ما والحقيقة أنك لســت هناك.

فقال: «يشبهني كثيرًا، أليس كذلك؟».

فرددت: «يمكنني أن أقسم أن ذلك كان أنت».

فقال هولمز: «عندما كنت في فرنسا، حصلت على منحوتة مجسمة لي من الشمع، وقد وضعتها بجوار النافذة بعد ظهيرة اليوم».

فسألته: «لكن لماذا؟».

فأجابني: «لأنني أود أن يعتقد أشخاص معينـون، يـا عزيـزي واطسـون، أنـني قـد عـدت إلـى غـرفـتـي».

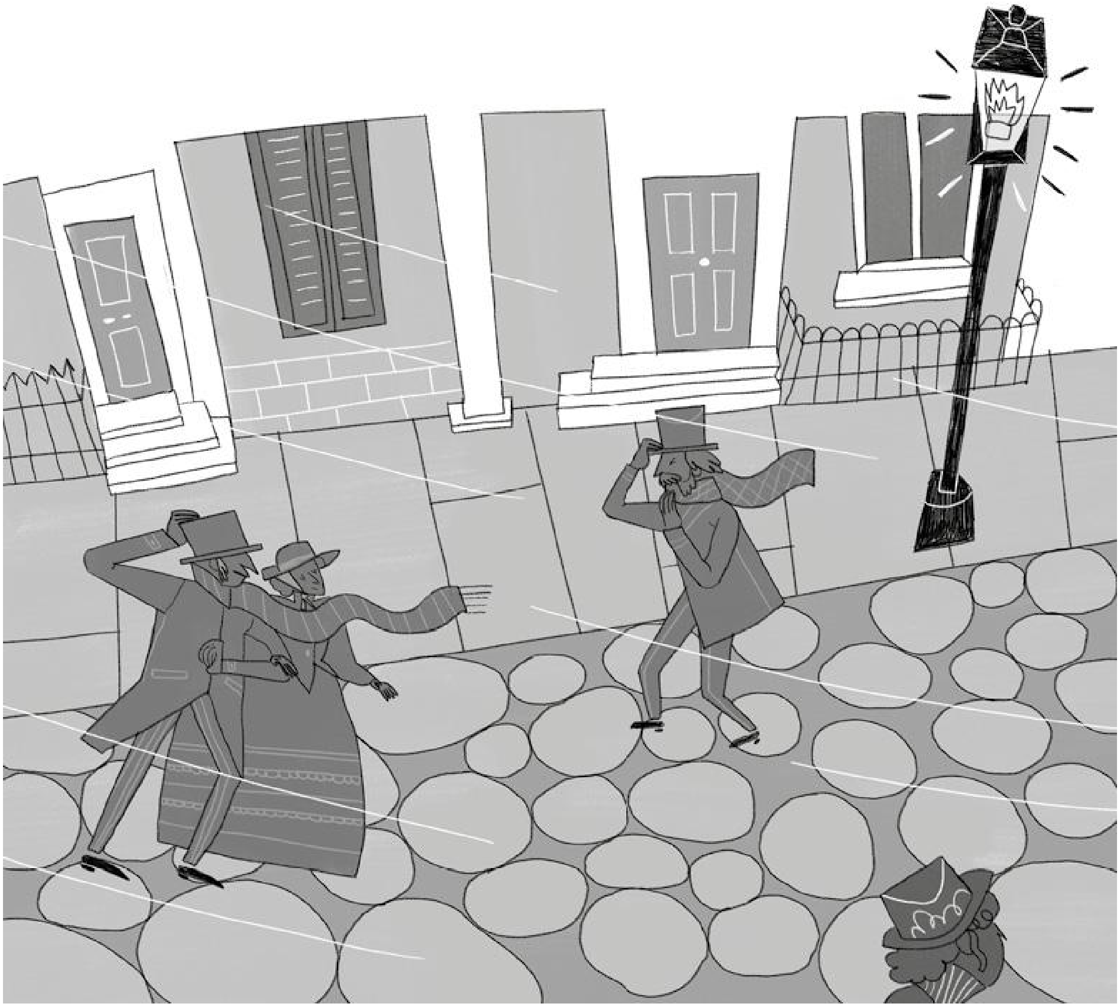
فسألته: «هل تعتقد أن الغرفة مراقبة؟».

فقال: «أنا واثق بهذا».

فسألته: «ممن؟».

فأجابني: «من أعدائي القدامى، فآخر أفراد عصابة موريارتي هو ذلك الرجل الذي حاول أن يقتلني في شلالات ريتشينباخ، وقد رأيت أحد خدمه يراقب المكان، وهو لا يضر، لكن زعيمه كان صديقًا مقربًا إلى موريارتي، وهو الآن الرجل الأخطر في لندن، وهو أيضًا الرجل الذي يتعقبني الليلة».

الآن فهمت ماذا كانت خطة صديقـي، إنهـا مـراقبة المراقبين وتتبع المتتبعين، فكان ظل هولمز في النافذة هو الطعم، وكنا نحن الصيادين، فكنا نقود المجرمين إلينا مباشرة!



وقفنا معًا في الظلام، حيث وقف هولمز صامتًا ساكنًا، لكني كنت أعرف أنه يقظ، يراقب كل من يمر بالشارع.

كانت ليلة باردة، وكانت الرياح تصر بحدة بالأسفل، فكان المارة يرتدون بمعاطفهم وأوشحتهم.

لاحظت رجلين يحتميان في أحد المداخل في نهاية الشارع، فحاولت لفت نظر هولمز إليهما، لكنه نخر في نفاد صبر، ربما لم تكن لهما علاقة بخطته، لكن مظهرهما بالتأكيد كان مريبًا، حتى إنني رأيت هولمز بعد مرور بضع دقائق يرمق الرجلين مرة أو اثنتين، ثم بدأ ينقر بأصابعه على الحائط ويبدل رجليه.

مع اقتراب منتصف الليل أصبح عدد الموجودين في الشارع أقل، والآن صار هولمز يمشي للأمام وللخلف في توتر.

وفجأة، جذبت هولمز من ذراعه وأشرت عبر الشارع ناحية النافذة، قائلًا: «لقد تحرك الظل!».

صرنا الآن نرى مؤخرة رأس المجسم بدلًا من جانب الوجه الذي كنا نراه.

فصاح هولمز، قائلًا: «بالطبع قد تحرك، لست غبيًا لتركه في وضعية واحدة، أتظنه هكذا سيخدع أحد أذكى الرجال في أوروبا؟ إننا هنا في هذه الغرفة منذ ساعتين، ما يعني أن السيدة هدسون قد حركت المجسم ثماني مرات - مرة كل خمس عشرة دقيقة».



احمر وجهي في خجل، فلم ألحَظ ذلك قط، كما أنني قلقت قليلًا بشأن سلامة السيدة هدسون، فماذا لو أُطلق عليها الرصاص وهي تحرك مجسم الشمع؟ لا بد أن هولمز كان مستعدًا لفعل أي شيء.

ثم أخذ هولمز نفسًا سريعًا في حماس وصاح: «آه!».

لقد كان الشارع بالخارج خاويًا، وكان كل شيء ساكنًا ومظلمًا عدا النافذة المضيئة للمنزل 221ب.

أطلق هولمز صوت صفير في حماسة مرة أخرى، ثم جذبني إلى أكثر ركن معتم في الغرفة ووضع إصبعه أمام شفتي، فشعرت بإصبعه يرتعش.

الفصل السادس

كان الشارع المظلم لا يزال خاويًا.

ثم سمعت. وقعًا خافتًا لخطوات متثاقلة أتى من خلفنا - من المنزل نفسه الذي كنا نوجد فيه! باب ينفتح وينغلق، وخطوات متسللة في الممر، وقد كان الصرير الذي تحدثه كل خطوة على الأرضية الخشبية يخبرنا بأنه ثمة من يقترب.

رجع هولمز إلى الوراء في الزاوية ملتصقًا بالحائط بجانب المكتبة نصف المكسورة، وكذلك فعلت.

أثق بأن هولمز لم يكن يتوقع أن يتتبعنا عدوه إلى داخل المنزل، فهل تتبعنا إلى هنا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا استغرق لدخول المنزل هذا الوقت كله؟

استمر صوت صرير الأرضية الخشبية بنمط منتظم، وكان الصوت يرن في المنزل الفارغ. وأخيرًا، توقفت خطوات الأقدام أمام باب الغرفة تمامًا، ليصدر صوتُ صرير خفيف مع إدارة مقبض الباب.

رأيت هيئة معتمة لرجل عند عتبة الباب، حيث ظل واقفًا لحظة قبل أن يتسلل إلى داخل الغرفة، على مسافة مترين فقط منا.

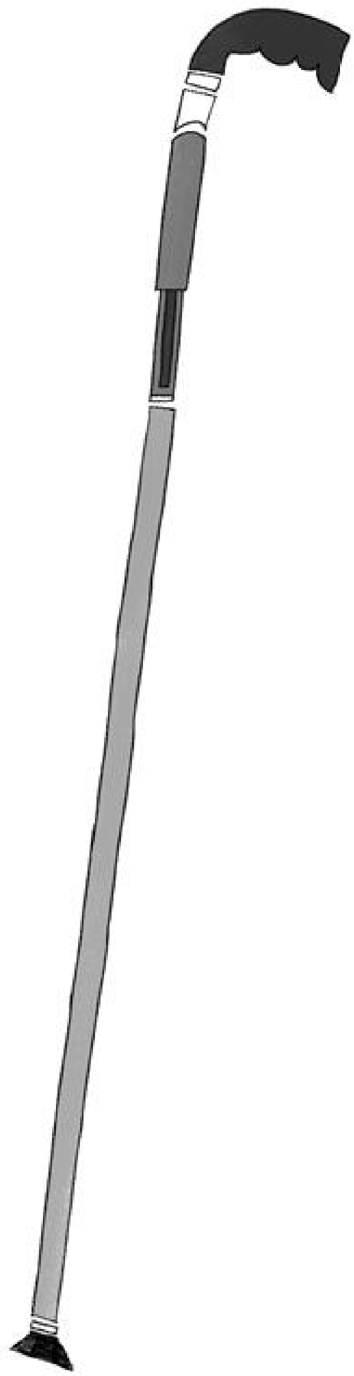
حبست أنفاسي منتظرًا أن يرانا في أية لحظة، لكنه لم يفعل، ثم تسلل في خفة إلى النافذة وفتحها على مسافة بضعة سنتيمترات منا، وجثم على ركبتيه ونظر من الفجوة المفتوحة، فانعكس ضوء أحد مصابيح الشارع على وجهه المهتاج، حيث برقت عيناه كما النار في الغرفة المظلمة.

كان رجلًا أكبر سنًا له أنف طويل ونحيف وشارب أشعث تخالطه بعض الشعيرات الرمادية، كما كان وجهه نحيفًا له زوايا من شدة النحول، وخطوط عميقة.

كان الرجل يحمل شيئًا يبدو كعصا، لكن لما أسنده إلى الأرض رن صوت ارتطام شيء معدني في أرجاء الغرفة، فهوى قلبي في رجلي. اتضح أنها لم تكن عصا، بل أحد أنواع البنادق.



انشــغل الرجـــل داخـــل الغرفة بسحب، ودفع، وثني أجزاء مختلفة من البندقية قبل أن يحدث صوت نقرة عالية مفاجئة، ثم مال إلى الأمام، ودفع مقبضًا فيها، فانطلق صوت صرير دوراني طويل ثم نقرة أخرى.



لم يحرك هولمز ساكنًا، كما كان، مثلي، لا يجرؤ على التنفس.

اســـتـقـــام الرجـــل وأراح ماسورة البندقية على عتبة النافذة.

رأيت شاربـه يتدلـى فـوق البنــدقـيـة وعيناه تلمعان وهو يطل من النافذة، وكان هدفه المجسم الشمعي الموضوع في النافذة في الجهة الأخرى من الشارع، فارتعدت عندما تخيلت أنه كان من الممكن أن يكون هولمز نفسه فعلًا، فعادة ما كان يقف في النافذة، خاصة وهو يفكر.

أطلق الرجل تنهيدة رضا، ثم شد إصبعُه الزناد.

انطلق صوت أزيز عالٍ غريب وجلجلة زجاج مكسور.

انقض هولمز في تلك اللحظة على ظهر الرجل مثل النمر وسقطا على الأرض، ورغم أننا كنا نتمتع بعنصر المفاجأة، رأيت الرجل يهرب من قبضة صديقي وهرع نحو الباب، فقفزت إلى الأمام، وأمسكته من معصمه لأجذبه إلى داخل الغرفة مرة أخرى، لكنه كان قويًا جدًا، فحرك ذراعه إلى جانبه، ودفعني لأصطدم بالحائط. فاندفع هولمز نحو الرجل، وكانت عيناه تشتعلان في غضب، فصارعه على الأرض، ونجح في تثبيت إحدى ذراعيه قبل أن تطير الأخرى في الهواء وتندفع مباشرة إلى فك هولمز، فعوى هولمز في ألم لكنه لم يُفلت المجرمَ.



وقال وهو يلهث: «واطسون، أحضر لي شيئًا أقيد به هذا النذل».

تفقدت الغرفة في خوف لأرى حبل جرس قديم يتدلى من الحائط، فقطعته من جسم الجرس الصدئ وأعطيت هولمز إياه، فأوثق يديّ الرجل معًا وطلب مني الإمساك به كي لا يهرب.



ثم وثب هولمز على قدميه، وأطل من النافذة ونفخ بقوة في صفارة كان قد أخرجها من جيبه، لنسمع خلال لحظة صوت أقدام تركض عبر الطرقة خلفنا، ليندفع بعدها شرطيان ومحقق بملابس مدنية إلى باب الغرفة.



فسأل هولمز، قائلًا: «أهذا أنت يا ليسترايد؟».

فتوقف المفتش ليستraid عند عتبة الباب، وقال: «نعم، سيد هولمز. هذا أنت إذن! لم أكن أصدق حين أخبروني في القسم بأنك لا تزال على قيد الحياة. تسرني رؤيتك في لندن مرة أخرى، سيدي».

فقال هولمز: «ظننتك تحتاج إلى بعض المساعدة، فثلاث جــرائم قتل غير محلولة في عام واحد ليست بالأمر الجيد يا ليستراید، كما أن مكان اختبائك في الشارع هــذه الليلــة لــم يكــن أفضــل شيء. هل تجتمعون كلكم في مكان واحد؟ لقد رآك واطسون بمجرد أن نظرنا خارج النافذة».



نخر المفتش ونظر للأسفل، فلم يكن يستطيع أن ينكر أن هولمز كان يقول الحقيقة.

نهض ثلاثتنا، والآن صار السجين يقف على قدميه، يتنفس بصعوبة ويمسكه شرطيان من كلا جانبيه.

كان بضعة أشخاص قد شاهدوا الشـرطيين يُهرعـان إلـى المنزل، فاحتشدوا في الشـارع لمعـرفة ما يحـدث، فأقفل هولمز النافذة والستـارة المعدنيـة، ثـم أضاء الشرطيان مصباحيهما.



استطعت الآن إلقاء نظرة متفحصة على السجين.

كانت عيناه زرقاوين شريرتين، وكان يحدق إلى هولمز بحدة، ثم تمتم قائلًا: «أنت بارع!».

فقال هولمز: «آه، سيادة العقيد، لا أظنني حظيت برؤيتك منذ أن كنت ترمي بالصخور عليَّ في شلالات ريتشينباخ. لم أقدمك إليهم بعد».

فاستدار هولمز ونظر إلينا جميعًا.

ثم قال: «أيها السادة، إليكم العقيد سيباستيان موران، إنه أفضل من يطلق النار في الجيش الهندي، وكان أسطورة في وحدته، إذ يقولون عنه إن بإمكانه إصابة هدف متحرك على بعد خمسين مترًا».

لم ينطق الرجل الشرس بشيء، لكنه حدق إلى رفيقي بعينين وحشيتين، بينما كان شاربه مستنفرًا كفراء قط غاضب.

فقال هولمز في استفزاز: «يذهلني كون حيلتي البسيطة قد استطاعت خداعك، ألا يمكنك أن تفرق بين ظل مجسم من الشمع وظلي الحقيقي؟ لا أكاد أصدق!».

فوثب العقيد موران ناحية هولمز مطلقًا زمجرة غضب، لكن جذبه الشرطيان إلى الوراء مجددًا، فبدا وجهه بغيضًا من شدة الغضب.

فقال هولمز: «وقد أدهشتني أيضًا، فلم أكن أتوقع منك أن تستغل هذا المنزل، بل ظننتك ستطلق النار من الشارع حيث كان صديقي، ليســترايد، وشرطياه ينتظران».



ثم التقط هولمز البندقية من فوق الأرض، ونظر إليها من كثب.

فقال: «اختيار جيد للسلاح، إنه صامت وفعال، أعرف أن موريارتي قد صنعه لأجلك خاصة، أيها العقيد، لكنني لم أرَه قط».

وأضاف: «أترى كيف يمكن الخلط بينه وبين عصا المشي يا واطسون؟ يمكنك التجول في أرجاء لندن كلها دون أن يشك أحد في شيء».

ثم استدار هولمز إلى ليستراير، وقال: «بماذا ستدينه؟».

فبــدا ليســتراير مــندهشًا، وقال: «بمحاولة قتل السيد شيرلوك هولمز، طبعًا».

فهز هولمز رأســـه فـــي رفـض، وقال: «لا يا ليسترايد، أبقني بعيدًا عن الصورة، لا بد أن يُنسب إلقاء القبض عليه إليك، فبذكائك المعهود وشجاعتك استطعت الإمساك به، تهانينا!».

فسأله ليسترايد: «الإمساك بمن يا سيد هولمز؟».

فأجابه هولـمز، قائلًا: «الرجل الذي أطلق النار على السيـد رونالد أدير في شارع بارك لين الشهر الماضي. الرجل الذي يبحث عنه جهاز الشرطة بالكامل».

الفصل السابع

أُخذ السجين وذهبت أنا وهولمز إلى غرفنا القديمة في الجهة الأخرى من الطريق، وقد ذهلت عندما وجدت أن شيئًا لم يتغير بها طوال السنوات الثلاث لغياب هولمز، وهو الأمر الذي حرص عليه أخوه مايكروفت والسيدة هدسون.

نظرت حولي في أثناء دخولنا، حيث وجدت الطاولة الملطخة بالحمض، التي كان هولمز يجري تجاربه الكيميائية عليها، وكذلك رف سجل القصاصات والمراجع.

كانت حافظة الكمان ملقاة على الكرسي، وحامــل الغليـون على الحائط، وحتــى الخــف الفارسي الذي يحوي تبغه كان حيث كان دومًا.



كان هناك شخصان في الغرفة، السيدة هدسون التي كانت تبتسم إلى كل منا مبتهـجـة، والمـجسـم الزائف الذي لعب دورًا مهمًّا في مغامرة الليلة.

فقالت السيدة هدسون: «يا لها من فوضى يا سيد هولمز! يا لها من فوضى! لكن يسرني أن الأمر كان يستحقها».

فقال هولمز: «آمل أنك كنتِ تتوخين الحذر يا سيدة هدسون».

فردت السيدة هدسون، قائلة: «كنت أحركه وأنا جاثمة على ركبتي يا سيد هولمز، تمامًا مثلما أخبرتني».

فسألها قائلًا: «هل رأيتِ أين استقرت الرصاصة؟».

فمدت السيدة هدسون يدها في جيبها وقالت: «لقد اخترقت المجسم تمامًا، ثم ارتطمت بالحائط، وسقطت على البساط. إليك بها، سيدي».

مرر هولمز الرصاصة إليَّ، وقال: «رصاصة مسدس، من قد يتخيل أن مثل هذه الرصاصة الكبيرة يمكن أن يتم إطلاقها من بندقية هوائية؟».

لكني لم أكن أفكر في ذلك؛ إذ كنت أمسك الرصاصة التي كان من الممكن أن تنهي حياة هولمز. لقد كان بإمكان هذه الرصاصة الصغيرة أن تنهي حياة رجل عظيم.

خرجت السيدة هدسون وجلست أنا وهولمز على كرسيينا القديمين، حيث أمسك هولمز بغليونه وأشعله.

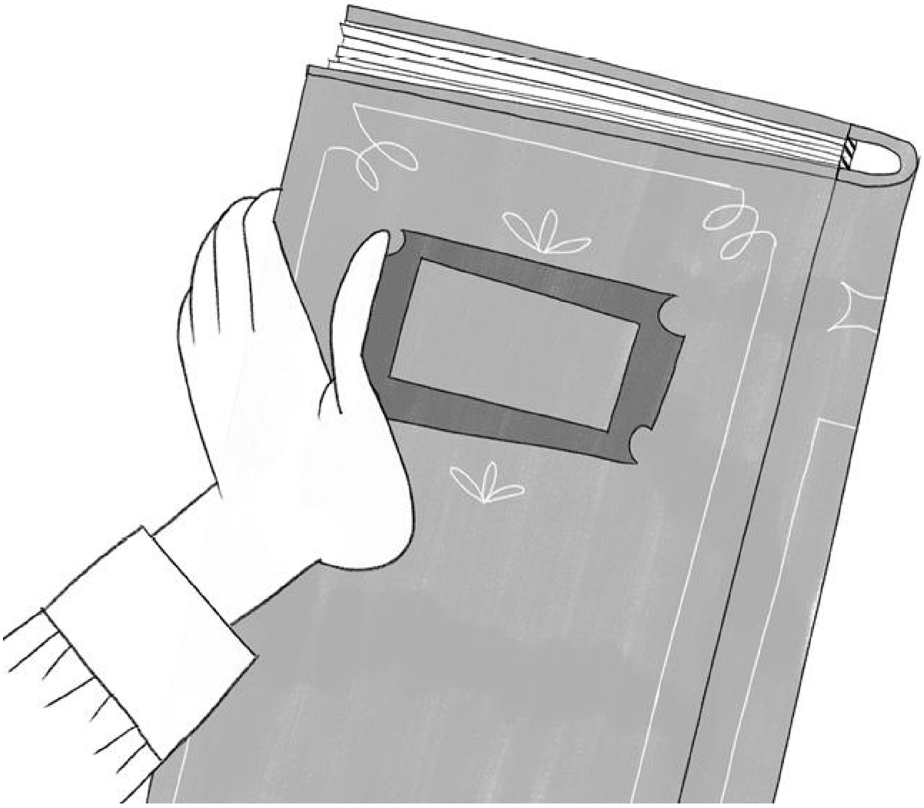


وقال: «ناولني كتاب السير الذاتية يا واطسون من فضلك».

ففعلت.

فقال هولمز: «إن مجموعة الحرف ميم الموجودة لديَّ جيدة، لكن اقرأ المكتوب هنا».

وناولني الكتاب.





وجدت هولمز قد كتب في الهامش «ثاني أخطر رجل في لندن».

أعدت الكتاب إلى هولمز، وقلت له: «لقد كان جنديًا ذا شأن كبير».

فرد قائلًا: «صحيح، فقد كان يبلي بلاءً حسنًا حتى مرحلة معينة، وكان رجلًا شجاعًا، لكنه حاد عن مساره، وعاد إلى لندن والتقى موريارتي، الذي كلفه بمهمات إجرامية ما كان غيره ليجرؤ حتى على محاولة تنفيذها».

وأضاف: «أتذكر وفاة السيدة ستيوارت عام 1887؟ إنني واثق بأن العقيد موران هو من فعلها، رغم أن شيئًا لم يثبت ذلك».

وتابع قائلًا: «وهل تذكر عندما أتيت لزيارتك في غرفتك قبل ثلاث سنوات، وطلبت منك أن تغلق مصراعي النافذة لخوفي من البنادق الهوائية؟».

فأومأت بالإيجاب.

فقال: «كنت أعرف بوجود ذلك المسدس، وأن أحد أفضل القناصين في العالم هو من يستخـــدمها. وعندما كنا في سويسرا، تعقبنا العقيد موران بصحبة موريارتي، وكان هو الرجل الذي حاول قتلي بعد أن فشل موريارتي في ذلك».

أصبح كل شيء واضحًا لي الآن، واندهشت لقدرة هولمز على أن يسبق هذين الرجلين الذكيين الشريرين بخطوة.

وتابع قائلًا: «لم أستطِع العودة إلى لندن، فانتظرت، ثم عندما سمعت بوفاة السيد رونالد أدير عرفت أن العقيد موران هو من فعلها، فوجدتها فرصة لي. لقد كان يلعب ألعاب الورق مع أدير، فتبعه إلى منزله ثم أطلق النار عليه من خلال النافذة المفتوحة، ولهذا لم يستطِع أحد التوصل إلى كيفية دخول القاتل الغرفة وخروجه منها - لأنه لم يفعل من الأساس، فقد أطلق النار على السيد أدير من الخارج».

واسترسل هولمز في حديثه: «كنت واثقًا بأن هذه هي الطريقة نفسها التي سيحاول بها العقيد موران قتلي؛ لذلك استدرجته بحذر بإظهار ظلي في النافذة، وتأكدت من اختباء المفتش ليسترايد ورجاله بالخارج، في استعداد لاقتناص الفرصة. ورغم محاولتهم المتواضعة في الاختباء، يدهشني أن العقيد موران لم يلاحظهم».

فسألت قائلًا: «لكن لماذا قتل العقيد موران السيد أدير؟».

فقال هولمز: «يمكـنـنـي فقـط تخمين ذلك. أظنهما كانا شريكين في لعب الورق وفازا بمبلغ كبير من المال، لكن السيد أدير أمسك بالعقيد موران وهو يغش وهدده بأن يخبـر أحـــدًا إذا لم ينسحب العقيد مـوران مـن نـادي الألعاب الورقيــة، الأمـر الـذي كـان سيدمره - فقد كان يعيش على المال الذي يجنيه من الفوز».




Bank of England
50
BANK of ENGLAND.


Bank of England
50
BANK of ENGLAND.


Bank of England
50
BANK of ENGLAND.


Bank of England
50
BANK of ENGLAND.


Bank of England
50
BANK of ENGLAND.

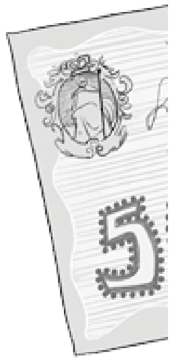

Bank of England
50


Bank of
50


Bank of England
50


50


Bank of England
BANK of ENGLAND.
50



واستكمل هولمز حديثه، قائلًا: «وقد وضع السيد أدير الأموال على مكتبه؛ لأنه كان يحسب كم عليه أن يعيد منه، فلم يكن يريد أن يفوز بالغش».

بدا لي ذلك التفسير منطقيًّا، فقلت: «إنك محق بلا شك يا هولمز».

فتمدد هولمز في كرسيه، ووضع ساقًا على الأخرى، وقال: «أما تلك البندقية الفريدة فسوف تُعرض في متحف سكوتلاند يارد».

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، وقال: «ها هو السيد شيرلوك هولمز عاد حرًّا مرة أخرى، وسوف يحل الكثيــر مـــن ألغاز لنـدن».



شيرلوك هولمز

قام المحقق الخاص المشهور عالميًا شيرلوك هولمز بحل مئات الألغاز، وهو مؤلف أوراق بحثية رائعة مثل Early English Charters وThe Influence of a Trade Upon the Form of a Hand. ويربي النحل في أوقات فراغه.

دكتور جون واطسون

جُرح دكتور جون واطسون في أثناء مشاركته في معركة مايواند، وترك الجيش وانتقل إلى منزل 221ب بشارع بيكر. وهناك تفاجأ عندما علم أن صديقه الجديد، شيرلوك هولمز، يواجه خطرًا يوميًّا في أثناء حل الجرائم، وبدأ في توثيق تحقيقاته. يدير دكتور واطسون عيادة طبيب أيضًا.

لتحميل أنشطة شيرلوك هولمز، يرجى زيارة الموقع الالكتروني
www.sweetcherrypublishing.com/resources

الغلاف الخلفي

